وقفة عند رواية بدء الوحي دراسة مقارنة(أ)

سماحة العلامة

الشيخ حيدر السندي

تقرير: أ. عيسى البجحان

قال سيدنا ومولانا جعفر بن محمد الصادق (صلـــوات الله وسلامه عليهما): "إن الله إذا اتخذ عبدًا رسولًا أنزل عليه السكينة والـــوقار" (2)آمنا بالله (تبارك وتعالى)، صدق سيدنا ومولانا الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه).

تمهيد:

لا زال حديثنا في المشكلة الثانية التي يواجهها الباحث في ســـيرة النبي (صلى الله عليه وآله) الواصلة إلينا ،وهي مشكلة منع وحجب أحـــاديث أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم)، وذكرنا أننا في هـــذه المشكلة سوف نوقع البحث في محورين، وقد تم البحث في المحور الأول

ذكر بعض الفوارق بين الروايتين:

المحور الثاني: في ذكر بعض الفوارق الموجودة بين السيرة المروية عـــن أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) والسيرة المروية عن غيرهم.

من يراجع سردية كتب عامة المسلمين في سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب البخاري، و سيرة ابن هشام ،والسيرة الحلبية، ويراجع السردية في كتب الشيعة الإمامية (أنار الله تعالى برهانهم) التي فيها روايات أهـل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) ، كالكافي للكليني، الإرشـــاد للشيخ المفيد، و أعلام الهدى للطبرسي، و وكشف الغمة للإربلي، يجد مـــواضع كثيرة في سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) تنقل بشكل في كتب عـــامة المسلمين، وتنقل بشكل آخر في كتب الشيعة وبالتحديد في روايـــات أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) ، ومن ذلك:

أ- إسلام آباء النبي (صلى الله عليه وآله).

ففي روايات أهل البيت (عليهم السلام) يجد الباحث إطباقهم على كـلمةٍ واحدةٍ وهي أنهم كانوا (عليهم السلام) مؤمنين، بينما في روايات غير أهل

البيت (عليهم الصلاة والسلام) يوجد شيء آخر.

ب ـ إسلام سيدنا أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه).

فقد نقل العلامة الأميني (رحمة الله تعالى عليه) عن ابن الأثير عبارة تدل على أنه وقف على إجماع أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) في مسألة إسلامه فيقول: "ما أسلم من أعمام النبي (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام"، بينما في روايات غير أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) يوجد غير ذلك.

ج ـ مَن مِن نساء النبي (صلى الله عليه وآله) وقعت عليها قضية الإفك؟

ففي روايات أهل البيت (عليهم السلام) هي مارية القبطية (رضوان الله تعالى عليها) ، بينما في روايات غير أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) هي عائشة.

د ـ من هو الذي ولد في جوف الكعبة؟

اثبتت روايات أهل البيت أنه أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليهم)، وفي بعض مرويات غير أهل البيت (عليهم الصلاة السلام) هو حكيم بن حزام. والملفت أن الحاكم النيسابوري ـ وهو الحاكم في علم الحديث ـ ذكر أن الروايات المتواترة على أن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ولد في الكعبة فقال: "فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة"(3) ، ولكن هذا التوتر لا تجده في الكتب الواصلة إلينا لعامة المسلمين، وهذا من شواهد ما تقدم من أن الجو العام الممانع لنقل روايات أهل البيت (عليهم السلام) له تأثير في حجب الروايات.

هـ ـ من حامل الراية في موقعة مؤتة؟

ففي السردية العام يذكر أنه زيد بن حارثة، بينما في رواية أهـــل البيت (عليهم الصلاة والسلام) يذكر أنه سيدنا جعفر الطيار (عليه السلام).

و ـ الخلاف في يوم مولد النبي (صلى الله عليه وآله).

فالمشهور عند العامة أنه في الثاني عشر ويصادف يوم الاثنين، أما عـــند الإمامية فإنه في السابع عشر ويصادف يوم الجمعة والغريب أن المؤرخين يقولون أن النبي (صلى الله عليه وآله) ولد في عام الفيل وعام الفيل كـان قبل البعثة بأربعين سنة وهو يصادف سنة 571 ميلادياً، بينما لو رجعنا في الحساب الفلكي إلى سنة 571 ميلادي نجد أن يوم الثاني عشر لا يصادف يوم الاثنين ويوم السابع عشر لا يصادف يوم الجمعة، وهذه قضية تحتـاج إلى توقف وعلاج فقد تكون المشكلة في التوقيت حسب التاريخ الميلادي ، وقد تكون المشكلة في بعض المرويات.

وكيف كان فالمورد المختلفة في الروايتين متعددة ، وسوف نقف مـــع القارئ الكريم في موردين لأهميتهما باعتبار أنهما أصبحا بابًا واسعًا للطعن في الإسلام بشكلٍ عامٍ وفي شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) بشكـــل خاص.

المورد الأول: رواية بدء الوحي.

كيف كان استقبال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للوحي في أول الأمر؟ كيف كان اللقاء الأول له (صلى الله عليه وآله) مع جبريل (عليه السلام)؟

الجـــواب : الرواية المعروفة في مدرسة العامة هي رواية البخاري والتي يـرويها عن ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عـــائشة ، ونصها:

"عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبخ، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال :ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ ، فرجع بها رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم)يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) : أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل

ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي".

مضامين الرواية:

و قد تعمدنا نقل كامل الرواية كما جاءت في صحيح البخـــــاري لنقف عندها للتأمل في مضمونها حيث أنها اشتملت على عدة أمور:

الأمر الأول: أن النبي (صلى الله عليه وآله) فوجئ بلقاء الملك ، حتى أنه رجع يرجف فؤاده.

الأمر الثاني: قال الملك للنبي (صلى الله عليه وآله): "اقرأ"، فأجـــــاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "ما أنا بقارئ"، وفي هذا الجـــــواب احتمالان، لأن في كلمة "ما" احتمالين هما:

الاحتمال الأول: أن تكون ما استفهامية، أي: النبي الأعظم (صـــلى الله عليه وآله) يسأل ما الذي تريد أن أقرأ؟

الاحتمال الثاني: أن تكون ما نافية، أي: الرسول الأكرم (صـــلى الله عليه) امتنع فقال "ما أنا بقارئ" يعني لا أريد أن أقرأ.

مناقشة ابن حجر في معنى "ما"

ورجح ابن حجر في فتح الباري أنها نافية ،واستدل بوجهين:

الوجه الأول: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لا يعرف القـــراءة ولهذا امتنع، فلأنه لا يعرف القراءة فالمناسب أنه يمتنع فيقول لن أقـــــرأ لأنني لا أحسن أن أقرأ.

الوجه الثاني:أن الباء في اللغة لا تدخل على (ما) الاستفهامية، والمفروض أن النبي (صلى الله عليه وآله) استخدم الباء قال: "ما أنا بقارئ".

و ما ذكره ابن حجر محل تأمل:

أولًا: باعتبار أن النبي (صلى الله عليه وآله) إن كان لا يحسن القـــــراءة بمعنى قراءة المكتوب فالملك لا يريد منه أن يقرأ شيئًا مكتوبًا بل يـــريد منه أن يكرر ما سوف يقوله، ولفظ القراءة ليس موضوعًا لخصوص قـــراءة المكتوب، فعندما يقول شخص: أقرئ فلاناً عني السلام فـهي معنى ذلك خذ السلام مكتوبًا مني وأقرأه على فلان.

وفي تفسير الطبري : وقوله : (إن علينا جمعه وقرآنه) يقول تعالى ذكره : إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبته فيه (وقرآنه) يقول: وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك . ولفظ مسلم عـــن ابن جبير عن ابن عباس قال : كان النبي (صلى الله عليه - وآله- وسلم)يعـــالج من التنزيل شدة , كان يحرك شفتيه , فقال لي ابن عباس : أنا أحـــركهما كما كان رسول الله (صلى الله عليه -وآله - وسلم) يحركهما ; فقال سعـــيد : أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما , فحرك شفتيه ; فأنزل الله عز وجل: " لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه "قـــال جمعه في صدرك ثم تقرؤه

ثانيًا: أن المناسب لحال النبي (صلى الله عليه وآله) أنـه لا يمتنع فيما إذا قال له شخص إقرأ إلا بعد أن يتعرف على ما سوف يقال له ويراد مـــنه قراءته؛ إذ قد يكون كلامًا حسنًا ايجابيًا فيـــه مصلحة فكيف يمتنع (صلى الله عليه وآله) مباشرة؟ فالعاقل أولًا يتأمل في الأمور فيرى عـــواقبها ثم يرفض أو يقبل ولا يكون رفضه مباشرة، لذلك فالمتوقع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يستفهم لأنه (صلى الله عليه وآله) في مقام الرد.

بل الأنسب حتى لو كان في مقام الرفض أن لا يرد بلا تعليل ، بل يقـــول أنا لا احسن القراءة ، خصوصاً إذا كان مرعوباً ويخاف على نفسه الموت ، وعذب قبل ذلك، كما تصور هذه الرواية.

ثالثًا: لم يثبت أن الباء لا تدخل على (ما) الاستفهامي، فمن علماء مـــن يذهب إلى دخولها ، وهو الأخفش ، وإن كان ابن حجر نقل قـوله ووصفه بأنه شاذ.

وبشكل عامٍ فإنه في مثل هذه المسألة ـ التي هي من الأبحاث التي تشكل فروع فروع النحو واللغة ـ لا يمكن أن يحصل الإنسان العلم، ففيها مجرد أراء تنقل عن علماء اللغة و لا تقوم بها حجة، فنحن في أمهات المســائل النحوية ككون الفاعل مرفوعًا، وأن كان تنصب الخبر ؛ يمكن أن نجـزم ، أما في التفاصيل فالمدار مدار متابعة الاستعمالات الفصيحة، فمثـــلًا في هذا الاستعمال الوارد في هذه الرواية "ما أنا بقارئ" إذا كان فصيحًا يعـود الى القرون الاولى فنحن أولاً نستظهر من الرواية ولو بالقرائن الحافة هـــل النبي (صلى الله عليه وآله) في مقام الاستفهام أو في مقام النفي، فإن كان في مقام الاستفهام سوف نقول دخلت (الباء) في استعمـــال فصيح على (ما) الاستفهام، فهذه هي الطريقة الصحيحة في التفكير ولكن ابـــن حجر جاء بطريقة أخرى معكوسة.

الأمر الثالث: هو أن الملك قام بتعذيب النبي (صلى الله عليه وآله) عندما **قال له:** "ما أنا بقارئ" قال: "فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منـي الجـهد ثم أرسلني" وكرر هذا التعذيب ثلاثا مرات، ويقول ابن حجـــر في غطنه: "كأنه أراد ضمني وعصرني، والغط حبس النفس" ثم نقـــل رواية ـ وهـــو متعهد في فتح الباري أن لا ينقل إلا الرواية المعتبرة ـ عـــــــن داوود الطيالسي فقال: "ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن: فأخذ

بحلقي"، ولنا أن نتصور كيف كانت صورة اللقاء الأول بين الملك والنبي، فهي تعكس في ذهننا شخصًا أخذ بحلق شخص آخـــر ، وأخذ يضغط عليه ويكتم أنفاسه ويقول له: اقرأ و الشخص المضغوط ومحبوس الأنفاس يقول: ما أنا بقارئ!

الأمر الرابع: هو أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خـاف عـلى نفسه "فدخل على خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) ، فقال: زملوني زملوني فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي".

وهنا أخذ ينقل ابن حجر في(فتح الباري) أقوال العلماء في تفسير هـذه الخشية، وقد بلغت اثني عشر قولاً ، ومن ضمن تلك الأقـول أن النبي (صلى الله عليه وآله) خاف على نفسه الجنون والهلوسة، فقال ابن حجـر: "أولها: الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة"، بمعنى أن الـرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يرى شيئًا جديدًا أخذه عـذبه وأعطاه بعض الكلمات وما يدري هل هذه الأشياء على وجه الحقيقة أو حـدث شيء في عقله وفي ادراكه؟" وللقارئ أن يتصـور عظم الأمر وفداحته، فصاحب هذا القول يرى أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ أمره باحتماله هو الجنون ، وختم أمـره بما ورد في روايتهم مـن جزم بعض أصحابه بأنه هجر(صلى الله عليه وآله وسلم).

وللإنصاف نقول إن ابن حجر استبعد هذا الاحتمال وقرب ثـلاثة أقوال من مجمل الأقوال فقال: "أولى هذه الأقـوال بالصواب وأسلمها من الارتياب الثالث ـ الموت من شدة الرعب ـ واللذان بعده ـ المرض ودوام المرض ـ وما عداها فهو معترض"، بمعنى أنه (صـلى الله عليه وآله وسلم) خاف على نفسه الموت ولعله من جهة التعذيب فإنه خنق ثلاث مرات.

الأمر الخامس: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يدرك أنـــه نبي وبقي مرتاعًا إلى أن ذهب الى السيدة خديجة (عليها السلام) ثـــم ذهبت (سلام الله تعالى عليها) به (صلى الله عليه وآله) إلى ورقة بين نوفل وببركة ورقة أدرك اقتنع أنه نبي، وذلك لما قال له: "هذا الناموس الذي نـزل الله على موسى". ولذا بعض المستشرقين الذين يطعنـــون في شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) يلقون باللائمة والملامة على السيدة خـــديجة (عليها السلام) وورقة بن نوفل فلو أنهما تركا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اقتنع أنه نبي ولما ابتلينا بالإسلام كل هذه القرون.

التأملات التدقيقة حول هذه الرواية:

ونحن لا نقبل هذا الرواية من أصلٍ، وبعد التـــأمل في مضامينها نسجل عليها عدة ملاحظات نقدية وهي:

الملاحظة الأولى: الملاحظة السندية.

الملاحظة الثانية: الإجماع على تلقي النبي (صلى الله عليه وآله) للقـــرآن بعد النبوة.

الملاحظة الثالثة: ما وجه هذا التعذيب للنبي (صلى الله عليه وآله).

الملاحظة الرابعة: رؤية النبي (صلى الله عليه وآله) لدلائل النبوة قبل ذلك.

الملاحظة الخامسة: تنافيها مع روايات أهل البيت (عليهم السلام).

الملاحظة السندية:

الملاحظة الأولى: الملاحظة السندية.

لا تقبل هذه الرواية لوجود أمرين في سندها:

الأمر الأول: الإرسال، فالبخاري يرويها عن عروة بن الزبير عـــن عائشة، وعائشة تكلمت مباشرة ولم ترفع هذه الرواية إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو تذكر الواسطة بينها وبين رسول الله (صلى الله عـليه وآله وسلم) ،

وهي لم تعاصر أحداث بدء الوحي ولم تكن موجودة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الغار ولا في بيت السيدة خديجة (عليها السلام) ولا في بيت ورقة بن نوفل.

إذاً توجد واسطة ساقطة، فمن هي هذه الواسطة؟ ومن لديه اطمئنان أنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو راو ثقة فهو واطمئنانه، أما نحن فلا يوجد عندنا اطمئنان، ونحتمل واسطة حذفها راوٍ قبل عائشة بالنسبة إلينا ، فتكون الرواية مرسلة.

الأمر الثاني: رواية الزبيريين لها. فهي مروية عن عروة بن الزبير، والزبيريون من بني أسد حيث إن الزبير ابن أخ السيدة خديجة ، وورقة ابن عم خديجة، وبالتالي نحتمل أن من مصلحة الزبيريين كأسديين أن يفخموا دور قبيلتهم وأن يجعلوا لهم تأثيرًا إلى حد أنه ببركة اثنين من قبيلتهم اقتنع النبي (صلى الله عليه وآله) وآمن أنه مبعوث من قبل الله (تبارك وتعالى)، ففي هذا تقوية لهم في صراعهم مع خصومهم العلويين والأمويين ، وكان الصراع كبيراً، ومع هذا الاحتمال لا يمكن عقلائيًّا أن نعول على هذه الرواية لمشكلة سندية بها.

بطلان نفي إيمان النبي (صلى الله عليه وآله):

الملاحظة الثانية: الإجماع على تلقي النبي (صلى الله عليه وآله) للقرآن بعد النبوة.

مما أجمع عليه المسلمون أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لم يتلق آية إلا بعد أن أصبح نبياً، فالنبي (صلى الله عليه وآله) عندما تلقى الآيات الأول في الغار كان نبيًا، كما أن إجماع المسلمين على أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نبوته لا يكون كافرًا ، و إنما يكون مؤمنًا فقط ، بينما هذه الرواية تدل على أنه (صلى الله عليه وآله) تلقى آيات

في غار حراء وبقي مدة لا يعرف أن ما رآه وحي وأنه نبي إلـــى أن التقى بورقة بن نوفل، فالنبي (صلى الله عليه وآله) بعد نبوته ليس هو أول مـؤمن بالنبوة الخاتمية بل كان مسبوقًا بالسيدة خديجة (سلام الله تعـــالى عليها) وبورقة من نوفل وهذا المضمون بطلانه واضح بين.

عدم وجاهة التهذيب:

الملاحظة الثالثة: ما وجه تعذيب للنبي (صلى الله عليه وآله)؟!

فنحن لا نتعقل لماذا يقوم الملك بتعذيب الرسـول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد قال له النبي (صلى الله عليه وآله): "ما أنا بقارئ" فلـماذا يعذبه؟ فإن كانت (ما) استفهامية فمن الواضح أنه لا معنى لأن يعـــذب شخص لم يمتنع عن القول وإنما استفهم ويريد أن يعرف ما يقـول. وإذا كانت نافية فإن الله (عزّ وجلّ) قادر على أن يشرح صدره ويجعـله مطيعاً في تلقي أمره وامتثاله، كما أن ابن حجر ذكر عذراً مقبولاً للامتناع وهو أنه (صلى الله عليه وآله) لا يحسن القراءة ، فكيف يعذب على عدم فعل غير المقدور؟!

فنحن لا نتعقل الغرض والهدف من التعذيب.

النبي يعلم قبلاً أنه صفوة الله :

الملاحظة الرابعة: رؤية النبي (صلى الله عليه وآله) لدلائل النبوة قبل ذلك.

إن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كغيره من المعـــاصرين له في أيام طفولته وأيام شبابه (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى دلائل النبـــوة، فالتقى ـ مثلًا ـ ببحيرة الراهب وأخبره بأنـــه نبي وأخـبر أهله بأنه نـــبي، و رأى كرامات الله (تبارك وتعالى) له، كتظليل الغمام وغوث النـــاس بالاستسقاء به ، حتى قال سيدنا أبو طالب (سلام الله تعالى عليه):

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

فكيف يكون بعد هذا كله غير عارف بأنه نبي أو ليس في مقام أن يكون مستقبلاً لوحي النبوة دون أن يكون في حالة روع أو يكون محتاجاً إلى تعذيب حتى يستجيب لأمر الله (تبارك وتعالى)، و يحصل السكون بنبوته لغيره قبله .

منافاة روايات أهل البيت (عليهم السلام):

الملاحظة الخامسة: تنافيها مع روايات أهل البيت (عليهم السلام).

إن مفاد هذه الرواية ينافي ما روي عن أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم)، فأهل بيت العصمة (عليهم الصلاة والسلام) تحدثوا حول النبي (صلى الله عليه وآله) في طوائف من الروايات تتنافى مع مضمون هذه الرواية، ونذكر بعض الطوائف:

الطائفة الأولى: ما دل على اصطفى الرسول (صلى الله عليه وآله) قبل خلق الدنيا.

فقد دلت روايات كثيرة قطعية على أن الله (سبحانه وتعالى) اصطفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخلق نوره قبل خلق الدنيا، فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى ملكوت الله (جلت قدرته) قبل أن يولد في نشأة الدنيا، ومن ذلك ما رواه الشيخ الصدوق (رحمه الله) في (الخصال) عن إمامنا "جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن

علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد (صلى الله عليه وآله) قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل خلق آدم ونوحًا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وادود وسليمان وكل من قال الله عز وجل في قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (4)وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربع مائة ألف وأربع وعشرين ألف سنة".

الطائفة الثانية: ما دل على أن الله (تبارك وتعالى) قرن بنبيه (صلى الله عليه وآله) ملك من أعظم ملائكته.

فقد أردف الله (سبحانه وتعالى) بالنبي (صلى الله عليه وآله) منذ طفولته ملكًا من أعظم ملائكة (تبارك وتعالى) وما وقع في حراء ليس اللقاء الأول مع الملائكة حتى يرتاع النبي (صلى الله عليه وآله) ويعود يرجف فؤاده (صلى الله عليه وآله)، فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) قرين الملائكة والملائكة قرناؤه (صلى الله عليه وآله) وهي تشرفت بجواره (صلى الله عليه وآله)، فلا معنى أن تحصل عملية الروع والخوف فيما إذا رأى جبريل (عليه السلام) في الغار كما في رواية البخاري مع أنه (صلى الله عليه وآله) مأنوس قبل ذلك بالملائكة.

يقول أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في نهج البلاغة: "ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله)من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره". وسئل الإمام الباقر (صلوات الله والسلام عليه)"عن قوله عزّ وجل: ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ (5)فقال (عليه السلام) : يوكل الله بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدون إليه تبليغهم الرسالة، ووكل

ووكل بمحمد (صلى الله عليه وآله) ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشر ومساوي الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد..." (6).

الطائفة الثالثة: ما دل على أنه (صلى الله عليه وآله) نبيًا قبل اللقاء بجبريل (عليه السلام).

وفي هذه الطائف بينت الروايات أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان نبيًا قبل أن يلتقي بجبريل (عليه السلام)، فهناك فرق بين النبوة وبين الرسالة وما وقع وعمره الشريف (صلى الله عليه وآله) أربعين سنة هو الإرسال ـ مرتبة الرسالة ـ وأما النبوة فهي ثابتة قبل ذلك، ففي الرواية المعتبرة يقول الإمام الباقر (صلوات الله وسلامه عليه): " الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلمه فهذا الرسول، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة". فهو (صلى الله عليه وآله) كان نبيًا قبل أن يرى جبريل، ومعنى نبي أنه ينزل عليه الواحي ويحدثه الله (تبارك وتعالى) فليس ما وقع في غار حراء أمرًا مفاجئً بالنسبة إليه (صلى الله عليه وآله).

الطائفة الرابعة: ما ورد في بيان كيفية اللقاء الأول للنبي (صلى الله عليه وآله) بجبريل (عليه السلام).

أوضحت روايات أهل بيت العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم) أن الملك جبريل (عليه السلام) جاء للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) مستعداً متهيئاً للقائه وأظهر التعظيم والتقدير والاحترام، ففي كتاب "الخرائج والجرائح" لابن الروانديي يقول أبو عبدالله (عليه الصلاة والسلام): "لما بلغ

رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربعين سنة قال: سمعت صوتاص من السماء: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل، ولما تراءى له جبرئيل بأعلى الوادي، وعليه جبة سندس ـ أرتدى لباسًا خاصاً ليلتقي برسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ أخرج له درنوكاً ـ بساطًا ـ من درانيك الجنة، وأجلسه عليه، وأخبره أنه رسول الله، وأمره بما أراد، ثم قال: أنا جبرئيل، وقام. فلحق محمد(صلى الله عليه وآله) بالغنم، وكان يرعى غنم عمه أبي طالب.

قال: فما من شجرة ولا مدرة إلا سلمت عليّ وهنأتني"، هكذا استقبال الملك العظيم جبريل (عليه السلام) اللقاء الأول مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يقم بخنقه وتعذيبه كما في رواية البخاري.

وفي رواية أخرى سأل زرارة (رضوان الله تعالى عليه) الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) سؤالًا في حقيقته يشكل إشكالية عند بعض الباحثين المتأخرين مثل الدكتور عبد الكريم سروش في كتابه (بسط التجربة النبوية) حيث يقول: "قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : كيف لم يخف رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما ينزغ به الشيطان؟ قال: فقال: إن الله إذا اتخذ عبدًا رسولًا أنزل عليه السكينة والوقار، فكان يأتيه من قبل الله عزّ وجلّ مثل الذي يراه بعينه" (7)، وكأن سؤال زرارة (رحمة الله تعالى عليه) مرتبط بعبارة رواية البخاري " لقد خشيت على نفسي"، فكون النبي (صلى الله عليه وآله) لم يخش لم يخف لم يتردد أمر إرتكازيّ واضح في مذهب أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) إلى درجة أن زرارة لا يسأل عن أصل وقوع الخوف وإنما يسأل عن علة عدم وقوعه.

إن الله (تبارك وتعالى) خالق السماوات والارض وهو (عزّ وجلّ) الكمال المطلق فكيف يختار شخصًا يحتاج لتعذيبه حتى يقرأ ثلاث آيات، والله (سبحانه وتعالى) حكيم يعرف من يختار وكيف يختار ، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان على يقين و بصيرة و وضوح و سكينة ووقار بأنه يتحدث مع سفير الله (تبارك وتعالى) أو يتحدث مع الله (سبحانه وتعالى) فيما إذا كان يتكلم مع الله (عزّ وجلّ) من دون حجاب، وهذه البصيرة تؤيدها المعاجز والكرامات التي جرت على يديه (صلى الله عليه وآله) فهو رأى متيقنا واثبت اليقين بما رأى بمعجزاته (صلى الله عليه وآله).

تذكير وإيقاظ:

هذه واقعة بدء الوحي في رواية أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وفي رواية غيرهم ، ولاشك في أن الباحث والقارئ يرى مقدار الفارق الكبير بينهما، ولكن للأسف صارت رواية غير أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) باباً واسعاً لمن أراد الطعن في شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) و في الإسلام، بينما رواية أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) رواية متزنة معقولة تنسجم مع الاعتقاد بحكمة وكمال الله (تبارك وتعالى)، وينبغي أن يهتم بها من يريد دراسة شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) لهذا ما زلنا نؤكد مكررًا أنه على الباحث ـ أي باحث ـ إذا أراد أن يقرأ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) من خلال السيرة الواصلة في التراث فعليه ألا يقتصر على قراءة سردية واحدة وهي السردية المروية عن غير طريق أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، فإن كان منصفًا يريد أن يعرف الحق أو أن يكتب بحثًا دقيقًا حول شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) فعليه أن يبدأ أولًا بأهل البيت (عليهم السلام) لأن أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) أدرى بما فيه وهم الأعلم بشخصية جدهم

(صلى الله عليه وآله)، والنبي (صلى الله عليه وآله) أرجع إليهم في حديث الثقلين وغيره ، أما عند غير أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) فشخصية النبي (صلى الله عليه وآله) مجهولة.

..الهوامش..

1- الليلة الرابعة محرم الحرام 1446هـ.

2- بحار الأنوار.

3-المستدرك على الصحيحين.

4-سورة الأنعام من الآية 84 إلى الآية 87.

5- سورة الجن الآية 27.

6-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة.

7- بحار الأنوار.